الصراعات النفسية في الشعر العربي "الشعر الجاهلي والأموي أنموذجًا"

Psychological Conflicts in Arabic Poetry: The Pre-Islamic and Umayyad Eras as a Model

الباحثة

م.د. حفصة عمر إبراهيم

Inst. Hafsa Omar Ibrahim, PhD

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

ملخص البحث:

فكرة الصراع لم تكن غائبة عن الشعر؛ لكونه يتناول التجربة الإنسانية بكل ما تحمل من مواقف مختلفة متغيرة، ولم يكن الشعر على الرغم مما اعترضه من انكسارات سياسية واجتماعية، بل وحتى دينية إلا محاولة لإعادة قراءة الواقع والمفاهيم بما يتلاءم والدور الحضاري للمجتمع بكل تكويناته، ويأتي الدافع إلى اختيار نصوص العصر الجاهلي والأموي من مختلف مقاطع القصيدة ووضعها تحت مجهر "الصرعات النفسية وانعكاسها في النص" تأكيدًا لحقيقة واحدة، هي أن بنية المجتمع الجاهلي والأموي عانت أزمة على الصعيد النفسي والاجتماعي بل وحتى السياسي التي دخلت بصورة تلقائية ومؤثرة وبقوة على الصعيد الشعري للتعبير عن أزمة المجتمع؛ ذلك أن نتاج الشاعر منفذ للإبداع والذي يفرغ فيه انفعالاته وصيغ تعابيره النفسية الممتدة في جميع مفاصل القصيدة المفصحة عن التجربة الشعرية .

وممّا تجدر الإشارة إليه أن ظاهرة الصراع نزعة متأصلة بالنفس البشرية، وقد شكلت قصة آدم عليه السلام انطلاقة صريحة لمظاهر الصراع بعدِّه سلوكًا إنسانيًا ناتجا عن حب الذات، ونقصد بمفهوم الصراع النفسي الاستعداد الفطري والذهني، ولا يبتعد عن كونه نوعًا من الإفرازات النفسية الباعثة لحالات من التأزم والتوتر والقلق إزاء مواقف متباينة، فيصبح الشاعر غير قادر على تجاوز دواخل نفسه، ولإشباع حاجتها يلجأ إلى الشعر لتفتيق مكبوتات نفسه فيعدها المتنفس الرحب، بالمقابل تكون تلك النصوص الشعرية المادة اللدنة القابلة لإعادة التهيئة والتشكيل والتنظيم ؛ ذلك عبر الطرف الثاني من العملية الإبداعية وهو المتلقي الذي يأتي دوره متمثلا بالتأمل والتأويل والتفسير وقراءة ما بين السطور.

Abstract

The idea of conflict has not been absent from poetry, as it addresses the human experience with all its varying and changing situations. Despite the political, social, and even religious setbacks that poetry has encountered, it remains an endeavor to reinterpret reality and concepts in a manner that aligns with the civilizational role of society in all its configurations. The motivation to choose texts from the pre-Islamic and Umayyad periods, examining various sections of the poem under the microscope of "psychological conflicts and their reflection in the text," emphasizes a single truth: that the structure of pre-Islamic and Umayyad society suffered a crisis on psychological, social, and even political levels. This crisis automatically and powerfully influenced the poetic

realm, allowing for the expression of societal turmoil; the poet's output becomes a channel for creativity, where they pour their emotions and psychological expressions into the threads of the poem that articulate the poetic experience. It is noteworthy that the phenomenon of conflict is an inherent tendency in human nature. The story of Adam (peace be upon him) represents a clear beginning for manifestations of conflict as a human behavior stemming from self-love. By "psychological conflict," we refer to the innate and mental readiness, which is a type of psychological output that leads to feelings of tension, anxiety, and crisis in various situations. The poet becomes unable to transcend their inner self and, in order to satisfy its needs, resorts to poetry as a means to express their repressed feelings. Poetry thus serves as a broad outlet, while these poetic texts become the malleable material that can be reshaped and reorganized; this occurs through the other side of the creative process, which is the audience, whose role embodies contemplation, interpretation, and reading between the lines.

المقدمة

الحمد لله رفعَ السمواتِ وبسطَ الأرض، خلــقَ الإنســانَ وعلَّمــهُ البيــان، وأَفضــلُ الصلاةِ والسلامِ على سيدِ الأنامِ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ والتابعينَ لسيرتهِ وهديهِ، أما بعد:

فموضوع البحث يدرس جانبًا وظاهرة تعترض أي شاعر وهي" الصراعات النفسـية وانعكاسها في النص الشعري" عِبر مواجهته لجدلية الحياة واشكالياتها صانعًا لنفسه رؤية تنتقل به من فضاء الإشكال إلى الوضوح، ومن الغموض إلى التجلي وهو بذلك يضــع بــين يــدي متلقيه عوالم الصراع المتباينة والمتواترة، وقبل الشروع والخوض في موضوع البحث علينــا تحديد الأطر والخطوط العامة للموضوع، كوننا متلقين للنص، مع الأخذ بنظــر الاعتبــار أن تكون قراءتنا في إطار نفسي في مختلف مفاصل القصيدة، ومختلــف الصــراعات النفســية للشاعر، كالحنين، والرغبة، والحاضر والماضي، والحب، والموت، والحياة، والأمل واليأس، الأثر الواضح في عقد وجه مقابلة بين معاناته النفسية، والنص المسلط عليه الضوء، والتي لا تبتعد عن كونها معادلًا نفسيًا بل تجردًا عن ضغوطات ذاتية الشاعر، ثم المحاولــة للوصــول لحالة الاستقرار النفسي، فالقصد من الصراع في هذه الدراسة هو تبيــان البنيــة العميقــة أو الذهنية أو الأيدلوجية التي تحصن خلفها الشاعر، وهي الرؤية التي ألفيناها ثابتة موحدة بــين زمرة الشعراء العرب القدماء، بل وحتى المحدثين.

وجاء تركيزنا في رصد تلك الظاهرة وتحليلها من منظور نفسي نقدي، ولا يخفى الجهد الكبيرة من لدن الناقدين والباحثين والدارسين في تركيزهم على الجانب النفسي محلقين بعيدًا عن الدراسة الكلاسيكية والتقليدية، وهم يتبحرون منقبين متحرين في نتاج المبدعين عن الثنائيات الضدية كالموت والحياة، والحاضر والماضي، والغنى والفقر،.... الخ حتى لنتلمس في نصوصهم وكأنها فضاءات يبثون من خلاله تقلبات أحوالهم والتوتر والضغوط والهموم التي أثقلت كواهلهم، ويتوجب علينا بوصفنا متلقين للنص البحث والتمحيص في الظرف النفسي للشاعر حال كتابة القصيدة وما ينتج عنه من صراعات وتوترات نفسية تنعكس بصورة مباشرة أو غير مباشرة على نتاجه الشعري.

المبحث الاول: الصراعات النفسية في الشعر الجاهلي:

تشكل مقدمات القصائد وأخص بالذكر النص الطللي المنفذ الرحب والمسرح المكاني لذكريات الشاعر وأيامه في الزمن الماضي، فيقيم عبيد بن الأبرص علاقة نفسية بين الأطلال والشيب، ويأتي استذكاره للشباب والتصابي متخذاً بعدًا نفسيًا معقدًا، وذلك عبر علاقة كل منهم بالشاعر وعلاقة كل منهم بالآخر، وقد يأخذ بعدًا معقدًا في وسط هذه المقابلة من حيث علاقة كل منهم بالشاعر وعلاقة أحدهما بالآخر، ولكن الطلل في الغالب عنصر تذكير بأيام الشباب والتصابي فتهيج أشواق الشاعر فيجعل من المشيب هو من صنع واستحضر ثوب الشباب، قال: من الخفيف

هَيَّجَ الشَّوقُ لي معارفُ منها حينَ حَلَّ المشيبُ دَارَ الشَّبَابِ
أَوطنتها عُفرُ الظباءِ وكانتْ قبلُ أَوطانَ بُدَّنٍ أترابِ
خُرَّدٍ بَينهُنَّ خَودٌ سبتني بدلالٍ وَهيَّجَتَ أطرابي(١)

نتلمس التوتر والصراع النفسي بين الشاعر والطلل بعد أن صنع مشاركة وجدانية مكانية بينهما؛ ذلك عبر نقل صيغ الأطلال إلى صورة الشيب، لما يمتلكه من قدرة على التصوير الدقيق والحس المرهف، فيدخل الشيب مخففاً من حدة التوتر؛ لأن الطلل استرجع بذاكرته أيام الشباب وذلك متأتٍّ من فعل الزمن وتأثيره الذي انتشر وتوزع على أماكن مختلفة، كالمنازل والديار من ناحية وجسم الإنسان من ناحية ثانية، كما نستشعر النغمة

(١) ديوان عبيد بن الأبرص: ٣٦ــ ٣٧.

الحزينة والتسليم للأسى، وكأن الشاعر يحدث الأطلال قائلاً كلانا خضع لتأثير مؤثر واحد لتتجسد عبر ذلك صيغة (الثبات والتحول) .

فالصراع دائم وكائن في النص الطللي؛ لأنه صراع أبديّ بين الحياة والموت، والماضي والحاضر. فاللوحة الطللية، هي **(افراز الصراع بين الشاعر ومحيطه الطبيعي والاجتماعي)**[١].

ونجد أن المهلهل بن ربيعة في نصه يخرق الطمأنينة أو الاستسلام للأمر الواقع إلى الحزن والانتقام وتصاعد حزنه على قوم بكر، فلم يجد الشاعر من متنفس يخفف عنه إلّا شعره، الذي لم يكن مجرد ألفاظ تجسدت عبر الحروف والأصوات، إنما كانت ضربات موسيقية عالية ولّدت أزمة نفسية وصراعات تخاطب الذات، يقول: من الخفيف

فلَعُمْري لأَقتلَنْ بكُلَيْبٍ كُلّ قَيْلٍ تُسمى مِنَ الأقيالِ

ولَعُمْري لقد وَطِئتُ بني بكر بما قد جَنَوهُ وطءَ النَّعالِ [٢]

فصراعه الداخلي لا يهدأ إلا بالأخذ بالثأر وإعادة التوازن إلى النفس المضطربة وبذاك نستشعر توتراته النفسية التي قد استفرغت ما تأجج داخله من صراع ممكن أن نتلمسه بما يتحمل النص من تأويلات؛ ذلك أن**(الشعر نزف فكري وجداني لدى الفرد الشاعر ينفثه إلى الوسط من مُخيلة تمثل محصلة تشترك في صنعها مؤثرات الرغبة، والإرادة والحاجة البيولوجية ومركزية الأنا والمكانة الاجتماعية)**[٣].

وكما هو معروف أن عروة بن الورد عاش منذ طفولته صراعا نفسيًا حادًا ومزمنًا رُبَّما هو المسؤول في صنع الشعور بالنقص في نفس الشاعر، وهذا ما أكده علماء النفس والتحليل النفسي بقولهم: **(إنَّ الطفولة الأولى تؤلف جزءًا جوهريًا من شخصية الإنسان، فتجارب السنين الأولى تشكل حياة الفرد المقبلة كلها)** [٤]، كما أن اتباع أسلوب الصرامة والقسوة في التربية تولد كراهية للسلطة العليا سواء كانت سلطة الأب أو سلطة المجتمع مما يولد موقفًا عدائيًا معارضًا للمجتمع برمته.

ومن اللافت للنظر أن النسب من جهة أخواله كان مصدر معاناته النفسية، وقد أفصح عن شعوره بالخزي منهم مرارًا وتكرارًا، والشاعر في تحامله عليهم يضمر ثورة على طغيان الاعتداد بقيمة النسب[٥]، يقول: من الطويل

---

(١) القارئ والنص(العلامة والدلالة) : ٥٣

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعةِ :٧٠ الأقيال : الملوك .

(٣) نقد الشعر في المنظور النفسي، ريكان إبراهيم،١٤٣

(٤) قراءة ثانية لشعرنا القديم ، د. مصطفى ناصيف :٤٢.

(٥) ينظر: موسوعة شعراء العصر الجاهلي :٢١٧ .

إذَا ما أَرَدْتُ امجْد قَصَّرَ مَجْدُهُمْ فَأَعْيَا عَلَيَّ أَنْ يُقَارِبَنِي المَجْدُ
فيَا لَيْتَهُمْ لَمْ يَضْرِبُوا فِيَّ ضَرْبَةً وَأَنِّي عَبْدٌ فيْهُمُ وَأَبِي عَبْدُ
ثَعَالِبُ فِي الحَرْبِ العَوَانِ فَإِنْ تَبُخْ وَتَنْفَرِجِ الجُلَّى فَإِنَّهُمُ الأُسْدُ[١]

الشاعر عاش صراعًا نفسيًا مريرًا فقد كانَ لأبيه تأثيرٌ واضحٌ فيه، بسبب مصاهرته مع قبيلة أمه التي أصابتْهُ بجرحٍ لا يبرأ، فنشأ الشاعر يحمل عقدة الاضطهاد سالكًا العديد من الطرق محاولةً منه ربط العلة بالمعلول علّهُ يجدُ متنفسًا يخفّفُ من الشعور الملازم له .

ويشكو عبيد بن الأبرص عاذلته التي هبت تلومه ليلًا على تقادم سنه وتلوح له بالشيب، الذي يعد المحرك الأساس لانفعال الشاعر وكأنما هو مثلبة تحسب عليه، وكأنه يريد أن ينبه المتلقي للوضع النفسي والصراع الذي يعيشه بعد ما بثت زوجته شكواها ولومها، فيقول : من الوافر

ألا عَتَبَتْ عَلَيَّ اليَوْمَ عِرْسِي وَقَدْ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَشْتَكِيني
فقالَتْ لِي: كَبِرْتَ! فقلتُ: حَقّاً، لَقَدْ أَخْلَقْتُ حِيناً بَعدَ حِينِ
تُرِيني آيَةَ الإعْرَاضِ مِنْهَا، وفَظَّتْ فِي المَقَالَةِ بَعْدَ لِينِ
وَمَطّتْ حَاجِبَيْهَا أنْ رَأَتْنِي كَبِرْتُ وَأَنْ قد ابْيَضَّتْ قُرُونِي
فقُلتْ لها: رُوَيدَكِ بَعضَ عَتْبِي، فَإِنِّي لا أرَى أنْ تَزْدَهِيني
وَعِيشِي بِالذِي يُغْنِيكِ،حَتَّى إذا مَا شِئْتِ أنْ تَنْأَي فَبِيني
فَإنْ يَكُ فَاتَنِي، أسَفاً، شَبَابي وَأضْحَى الرَّأسُ مِنّي كَاللُّجَينِ
وَكَانَ اللَّهْوُ حَالَفَنِي زَماناً فأضْحَى اليَوْمَ مُنْقَطِعَ القَرِينِ
فَقَدْ أَلِجُ الخِبَاءَ على العَذَارَى كَأنَّ عُيُونَهُنَّ عُيُونُ عِينِ
يَمِلْنَ عَلَيَّ بِالأقْرَابِ طَوْراً وَبِالأجْيَادِ كَالرَّيْطِ المَصُونِ [٢]

ولعل الكتمان والإحساس بالضغط على المشاعر هي من إحدى الموجبات التي تشكل الصراع النفسي، ويظهر الشاعر ردة فعله لتلك العاذلة ملتجأً إلى الفخر

(١) ديوان عروة بن الورد : ٤٧ ، لم يضربوا فيَّ ضربة: ليت أمي لم تكن منهم، تبخ : أي تطفئ الحرب ، الجُلَّى: الأمر العظيم.

(٢) ديوان عبيد بن الابرص،: ١٢٢ــــ ١٢٣، اخلفت حينا: مضت له سنوات بعد اخرى. فظت: أبدت فظاظة، والفظاظة سوء الخلق. قروني: شعري. تزدهيني: لا تكترثين بي. ألج الخباء: أدخله. الأقراب: الخواصر. الرّيط : جمع ريطة ، الثوب الذي يحيط بالجسم .

بنفسه معبرًا عن تجربة ذاتية لمعاناته النفسية على أثر الشيب الذي ألمّ به، فكان مدعاة لهجر الحبيبة فيتكشف صراعه ومعاناته النفسية من منطلق جوهري، وهو حنينه إلى أيام الشباب وأسره لقلوب العذارى، وتخليها ثم ينحني بها مسترجعًا بطولاته فيذكرها كيف كان يطعن برمحه أبطال خصومه، رغبة منه في الكف عن شكواها ولومها من هرمه الذي لا ينكره ولا ينفيه، مقررًا بفاعلية الزمن، فهو في حركة ضدية بين (الحاضر/ الماضي) فأصبح تحت وطأة تقلبات الزمن وهي أشبه ب(**لعبة زمنية تمنح الفعل الشعري قابلية أكبر على الحركة والظهور**) [١]، واختياره لليل وقتًا للوم يشير إلى أنه في تأمل وتصارع مع نفسه فيكون في هذه اللحظات أشبه بالمواجهه مع النفس، فالعاذلة النافرة منه ماهي إلا رمزٌ للشاعر نفسه في تصارع نفسي مرير بين(الشباب/ والشيخوخة) إذن هو يعيش حركية اغتراب عن ذاتيته الفعلية حيث نجد غلبة (**الشخص الآخر أو الشخص الخفي أو الظل الخفي الذي يتماهى مع الشيء ويلازمه ويعيش معه أو يلازم الذات ويتحرك معها، ويحيا حياتها. وتتكون لغة الخطاب...من تجسيد بين الشيء وظله أو بين الذات والشخص الآخر**)[٢]، يمثل وجود المرأة بالنسبة للشاعر الصوت المضمر والحافز المعنوي للمخاطرة والإقدام.

وتأتي حكمة عنترة عن تجربته الحياتية فيصور قيمته ومكانته بين قومه وقبيلته، بعد إن وجد مصدر قوته في انتمائه إليهم مواجهًا الاقدار بشجاعة فتظهر ثنائية تأزمه النفسي وهوسه بين(الفرد/ والجماعة) قائلاً في ذلك : من البسيط

لا يَحمِلُ الحِقدَ من تَعلُو به الرُّتبُ ولا يَنَالُ العُلا من طبعُهُ الغَضَبُ
ومَن يَكُن عبدَ قومٍ لا يُخالِفُهُم إذا جَفوهُ ويَستَرضي إذا عَتبُوا
قَد كُنتُ فِيمَا مَضى أرعى جِمَالهُمُ واليومَ أحمِي حِمَاهُم كُلَّما نُكِبُوا
للهِ درُّ بَنِي عَبسٍ لقد نسلُوا من الأكَارِمِ ما قد تَنسُلُ العربُ
لئن تعيبُوا سوادي فهو لي نسبٌ يومَ النِّزالِ إذا ما فاتَنِي النَّسبُ[٣]

نستشعر بالصراع الذي يعيشه الشاعر حتى نجده يراوح بين ثنائية(السيد/ والعبد)، فعانى الشاعر من اضطرابات نفسية وصراعات داخلية حتى ولدت لديه شعورًا بالنقص، فالبيئة الخارجية هي التي فرضت عليه التعايش مع الواقع الذي

(١) تجليات النص الشعري "اللغة ـــ الدلالة ـ الصورة" : ١٦١.
(٢) لغة الخطاب في قصيدة الحداثة ، كمال أبو ديب: ٦.
(٣) شرح ديوان عنترة :١٠ .

أسهم في إخلال توازنه النفسي والتحول في صراع مع الآخر، فتظهر في بنية هذه الجدلية قراءة من لدن الشاعر للواقع الثقافي ومحاولة تفكيكه وإعادة بنائه الأمر الذي جعله يحاول التغلب على واقعه، والتطلع للمعالي والسعي لبناء مجد القبيلة بعد أن كان يرعى الإبل ولكن ببصيرته وحلمه سرعان ما تبوأ المنزلة والمكانة الجديرة به، والتي تؤهله لما يرمي إليه الشاعر.

ويطالعنا المزرد بن ضرار بالشكوى من الكبر وانتهاء مرحلة القوة والشجاعة والوصول إلى نهاية العهد بازدراء الحال وتوقف الزمن، قائلاً : من الطويل

ولو أنَّ شيخاً ذا بنينَ كأنّما على رأسِهِ مِنْ شاملِ الشيب قَوْنسُ
وقد فنيتْ أضراسُهُ غيرَ واحدٍ رميمٍ إذا ما مُسَّ يدمى ويضرسُ
تُبيّتُ فيهِ العنكبوتُ بناتِها نواشَئ حتّى شبنَ أوهُنَّ عُنّسُ
لَظَلّ النهارُ رانياً وكأنّهُ إذا كشّ ثورٌ مِنْ كريصٍ مُنمِّسُ(١)

أراد الشاعر أن يثري مخيلتنا عبر تكثيف الألم والوقوف بصمت أمام صراعاته وأحاسيسه النفسية بتراكم الزمن وانقلاب موازين العمر فهو يعيش **(حركة نكوص وارتداد ذهني تخيلي، وإعمال للمخيلة... لأنه يجمع بين العاطفة والعقل، وكلاهما أدوات لتلك الحركة الارتداديــة)** (٢)، وتلك الهموم والأحزان لم تكن مفاجئة، إلا بعد أن ملأ الشيب رأسه في مرحلة متقدمة من العمر، ولم تقف عند حدود الدلالة الظاهرة بل تعدتها إلى دلالات نفسية وجدانية وهذا ما لمسناه عند الشاعر حيث صيغة اليأس والألم التي لن تفارق نفسه مطلقاً.

وتمتد صورة الصراع النفسي لشاعر المرأة والغزل الأعشى مبالغًا في شكواه والتي مزجها بالنسيب المشوب بالحزن في حاضره المرّ الذي يجعله يتلبس شعوريًا بالخوف والقلق والإحساس بالفناء والحرمان، حيث عمد إلى الجمع بين التصوير الخارجي والنفسي، وبراعته وإبداعه مكنته من المزاوجة بينها، يقول: من البسيط

بانتْ سُعادُ وأمسَى حَبلُهَا رابَا وأحْدثَ النَّأيُ لِي شَوقاً وأوصَابَا
وأجْمعَتْ صُرْمَنَا سُعدَى وهِجرَتَنَا لَمَّا رَأتْ أنَّ رأسيْ اليَومَ قد شابَا(٣)

---

(١) ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني (ت ٦٣٥ هـ): ٦٢. كش : ضحك ، الثور : قطعة من الأقط (اللبن الجامد) ، منمس : مخلوط بعضه ببعض.

(٢) الدلالة الحركية للصورة في المعلقات العشر : ١٠٨.

(٣) ديوان الأعشى الكبير : ٤١١.

يكشف الأعشى لقارئه بوضوح الجانب النفسي لانفعالاته وصراعاته التي أضفت على المشهد حركية متخيلة، فالشيب عند الأعشى جاء رمزًا وإيحاءً نفسيًا بتقادم العمر ومفارقة الصبوة والشباب، وهذا اضطره لاجترار الزمن الماضي بذكرياته الجميلة، فهي لحظات استرجاع ذكريات الشباب الراحل، متمردًا على واقعه لتحقيق توازن ومعادل للسلبية المعاشة، إذ يتضح أمامنا صراعه الزمني لل (الماضي/ الحاضر) ومن الممكن نفور الشاعر من الشيب وعلامات الهرم وتقادم العمر الذي أسقطه على رمز المرأة إيمانًا منه لكره المرأة وبغضها للشيب فضلًا عن عدم رغبته بالتكيف مع واقعه والحاجة للركون إلى الماضي(١).

ويشعرنا الأسود بن يعفر بصدق التجربة عندما نجد بأن صراعه جاء من واقع مؤلم عاشه الشاعر والشكوى من الدهر شكّل نسقًا مهيمنًا في البنية النصية بحكم أنه معادل للقوة المعطلة لنشاط الإنسان والبكاء على أيام مضت مسرعة لم تمهله كثيراً، يقول : من السريع

هل لشبابٍ فاتَ من مَطلبِ أم ما بُكاءُ البائسِ الأشيبِ

إلا الاضاليلَ ومن لا يَزَل يُوفي على مهلكِهِ يَعصَبِ

بُدّلتُ شيباً قد عَلا لمتي بعد شَبابٍ حَسنٍ مُعجبِ

صَاحبتُه ثُمّتَ فارقتُهُ ليتَ شبابي ذاك لم يَذهبِ

وقد أُراني والبلى كاسمه إذ أنا لم أصلع ولم أحدَبِ

ولم يُعرني الشَيبَ أثوابُهُ أصبى عيُونَ البيضِ كالرّبربِ(٢)

نستشعر التوتر والصراع الداخلي الذي عايشه الشاعر فيقف مستفهماً عن زمن بائس وعدو غادر، أخذ يصاحبه ويجور عليه بما يريد من دون مقابل ثم غدر به وأخذ منه شبابه وذكرياته الجميلة، وهذه هي مركزية صراعه التي بدت بصيغة الشعور بالحرمان، وللتخلص منه لابد من إخماد التوتر المسيطر على نفسيته ومن ثم التخلص من الفعل المؤجج له ألا وهو(الشيب)، فانتقى الشاعر لنصه صورة مؤثرة حزينة صيغتها (المصاحبة /المفارقة) لمنحها البعد التأثيري في المتلقي؛ لا ستحضار لحظة الموت وانقضاء الأجل .

ويظهر الشنفرى شكواه عن طريق صبره الشديد الذي لا تطيقه النفوس، حتى ينكشف للمتلقي صراع الشاعر النفسي متضحًا بروحه العليلة فيخفي أنينها من الحرمان: من الطويل

فإني لَمولَى الصَّبر أجتابُ بزهُ على مِثلِ قلب السِّمعِ والحزمَ أفعلُ

---

(١) ينظر: الشيب والهرم في الشعر العربي قبل الإسلام : ٢٩.

(٢) ديوان الأسود بن يعفر : ٢١– ٢٢ . الربرب : القطيع من بقر الوحش ، وقيل من الظباء ، والبدن : الوعل المسن .

وأعدمُ احيانًا وأغنى وإنَّما ينالُ الغِنى ذو البغيةِ المُتبذِّلُ
فلا جزعٌ من خلَّةٍ مُتكشِّفٌ ولا مرحٌ تحتَ الغنى أتخيَّلُ
ولا تزدَهِي الأجهالُ حِلمي ولا أرَى سؤولًا بأعقابِ الاقَاويلِ أُنمِلُ[١]

يصور الشاعر طبيعة الصراع الذي يعيشه ويسيطر عليه، وهو في مقاومة مستمرة للجوع الشديد المضني، فيصارع ويتحمل ليتجاهل الجوع شعوريًا، ويلجأ في التعبير عن احتياجاته التي أرهقت كيانه بصراعه مع الذات وهو بذلك يتجاوز معنى الصبر إنما ليكون مولى للصبر، فيغلب عليه ثبات المشاعر فلا يضجره الجوع ولا يجزعه فقر ولا يفرحه غنى، فقد شحن الشاعر النص بالثنائيات الضدية المتجسدة في قوله(فلا جزع من خلة/ولا مرح تحت الغنى أتخيل) على نحو يسهم إسهاما في تأكيد المعنى وتوضيحه، فالصراع كان نتيجة التخبط في نفسه الموجعة، أو لنقل إنها ثيمة شعورية نفسية تحول بين الشعور واللاشعور.

يحاور دريد بن الصمة عاذلته ممتطيًا أسلوب الاستفهام الإنكاري كاشفًا عن فلسفته في الحياة، فإنفاقه للمال يضمن له الأثر الطيب في الحياة وخلود الذكر بعد الممات: من الوافر

ألاَ بَكَرَتْ تَلُومُ بِغَيْرِ قَدْرِ فَقَدْ أَحْفَيتِنِي وَدَخَلْتِ سِتْرِي
فَإِنْ لَمْ تَتْرُكِي عَذْلِي سَفَاهاً تَلُمكِ عَلَيَّ نَفْسُكِ أيّ عَصرِ
أَسَرَّكِ أَنْ يَكُونَ الدَّهْرُ هذا عَلَيَّ بشرِّهِ يَغْدُو وَيَسْرِي
وَألاَ تُرْزَئي نَفْساً وَمَالاً يَضُرُّكِ هُلْكُهُ في طُولِ عُمْرِي
فقَدْ كَذَبَتْكِ نَفْسُكِ فَاكْذِبِيها فإنْ جَزَعٌ وانْ إجْمالُ صَبْرِ[٢]

نلحظ أنَّ الشاعر لم يستحضر العاذلة حسيًا واكتفى بذكر صفاتها، وساق الحديث الذي جرى بينهما على لسانه هو، لأنَّ أسلوب الحوار في الشعر الجاهلي كان يمثل الغائب الذي غالباً ما كان يحاول الشاعر الجاهلي استحضاره ليحاوره[٣]، فتتكشف أمامنا ما يجول في فكر الشاعر ويسيطر عليه من توتر وصراع نفسي يتجسد بإحساسه(قرب الموت/ وزوال الحياة)، فقد شغل ذهن الشاعر بهاجس الموت.

نتلمس حقيقة عاذلة دريد فماهي إلّا رمز لنفسه المتصارعة مع الدهر وبما تثقل عليه من مصائب، الأمر الذي جعل الشاعر يؤمن بأن ليس هناك خلود مادي، إنما حقيقة الخلود هو معنوي، ويأتي تكرار الشاعر للفظة (نفس) ثلاث مرات الذي أفاد التوكيد كاشفًا عن تأكيد القلق والصراع النفسي الذي يعيشه الشاعر، فقد جاءت لفظة

(١) شعر الشنفري الأزدي: ٨٢ــــ٨٣.
(٢) ديوان دريد بن الصمة : ١٠٩ــــ١١٠ .
(٣) ينظر: تاريخ الأدب العربي ، بلا شير: ١/ ٣٩.

(نفسكِ) في لوم النفس، وكذلك في تكذيب هذه النفس، أما الثالثة فقد وردت بصيغة (نفسا)، وبذلك أثبت دريد عن طريق توظيفه لرمز العاذلة كدلالة إشارية ومعادل نسقي لمحور صراعه ومعاناته النفسية .

ويعترف المرقش الأصغر بأسلوب تصريحي بأن الخيال زاده ألمًا وحزنًا وزاد قلبه نارًا وسعيرًا، فهو لم يكتفِ بالسياق المألوف، إنما فسح المجال لنفسه المتصارعة لترتقي بتصوير الآفاق أوسع ف(**يؤلف بين مناظر مختلفة فالشاعر يشعر بالشيء وأثره في نفسه، هذا يستدعي عنده صورة أخرى أثارت مثل ذلك الشعور من قبل فيؤلف بين الشعورين**)[١]، يقول : من الطويل

أمن بنت عجلان الخيال المطرح ألم ورحلي ساقط متزحزح

فلما انتبهت بالخيال وراعني إذا هو رحلي والبلاد توضح

ولكنه زود يبقظ نائما ويحدث أشجاناً بقلبك تجرح

بكل مبيت يعترينا ومنزل فلو أنها إذ تدلج الليل تصبح

فولت وقد بثت تباريح ما ترى ووحدي بها، تحدر الدمع أبرح[٢]

وتُعد الغربة عاملاً من عوامل الاضطراب والتوتر النفسي، فالغموض الذي نشعره هنا هو غموض فني يفك شفرته القارئ المختص ويتعامل معه بمرونة وشفافية لكي لا يبالغ في ترتيب الدلالات وفك اشتباك الصراع النفسي، ولعل هناك بواعث للصراع في وعي الشاعر منها الحب والحنين والألم واليأس والحرمان وغيرها[٣].

المبحث الثاني: الصراعات النفسية في الشعر الأموي:

وقد هيأت الصراعات النفسية والتوترات والضغوطات المتتابعة، لتجعل من عبيد الله بن الحر الجعفي إنساناً محاذرًا من تقلبات الحياة المفاجئة فيراها تضمر له الخير والشر، نلمس ذلك عبر توظيفه ثنائيتي(النعيم/الشدة، الخير/الشر)، يقول: من الطويل

فلا تَحْسَبَنَّ الخَيرَ لا شَرَّ بَعَدُهُ ولا الشَرَّ سُرجُوجًا على منْ ترتّبَا

---

(١) النقد الادبي، أحمد أمين : ٤٠

(٢) شعر المرقش الأصغر: ٥٣٠ ـــــ ٥٣١. الزور : الزائر ، والمعتر : الذي يأتي معترضاً لأن يطعم من غير أن يسأل ، أبرح بلغ مني منتهى الشدة .

(٣) ينظر: علم النفس والأدب: ٢٣٣.

ولَكنْ خَليطًا مِنْ نَعيمٍ وَشِدَّةٍ فَإنْ يأتِ خيرٌ فاخشَ شَرًّا مُعَقِّبا(١).

الشاعر مؤمن بأن قساوة الحياة مكنته من تخطي المصاعب، وكشفت عن تأملاته الفلسفية، فيبرر(أدلر) أن شعور النفس بالنقص الذاتي ينبع من فعل التأثيرات المباشرة لما يدركه المرء من قصور نفسي أو فيسولوجي يجعل القصور عنده القوة المحركة لمشاعره وأحاسيسه والعامل الفعّال لنشاطه(٢)، لذا نجده يتكئ على ما اكتنز بداخله من حِيَل دفاعية التي تسمى ب(**خافضات التوتر**)، للسيطرة على التوتر النفسي.

كما نتلمس الموقف النفسي المتوتر الذي يعايشه الشاعر هدبة بن خشرم مصورًا حاله لمحبوبته التي حال بينه وبينها جدران الحبس المنيعة أبوابه والشديد حراسه، مقيدًا بالقيود المرصوصة بالجص والصخور التي حدت حركته، يقول: من الطويل

وإني عَدَانِي أن أزورَكِ مُحكَمٌ متى ما أحرِّك فيه ساقيّ يصغبِ
حديدٌ ومرصُوصٌ بشيدٍ وجندلٍ له شُرُفاتٌ مرقبٌ فوقَ مَرقبِ
يُخبِّرني تُرَّاعهُ بين حَلقَةٍ أزُومٍ إذا عضَّت وكيلٍ مُضبَّبِ(٣)

تتكشف الدلالة الفنية للنص وهي تفصح عن التدفق النفسي العنيف الذي يعيشه الشاعر لحظة القول، فيستشعِرُ بلون من ألوان الاغتراب النفسي في وسط ذلك المكان المظلم إذ(**يقوم الشاعر من خلاله بالانسلاخ عن الواقع...وهو شكل من الاغتراب الداخلي...مورده الصراع مع الذات والآخر بما في ذلك الواقع**) (٤)، فضاق صدره بالحواجز الشاهقة، ومرائب يتصدرها سجّان يقظ عتلّ، وأبواب محكمة الإغلاق، وقيود قيدت الأوصال.

وقد يكون الحب وتبعاته سببًا مباشرًا لمعانات حقيقية يعيشها الشاعر، وهي كفيلة بالكشف عن الصراعات النفسية واضطراب الذات، لأن ما يخلفه الحب في الجسوم محسوس ملموس، ومن غير الممكن تحميل مدعيه بالكذب ولا واصفه بالافتراء، من ذلك قول جميل: من الطويل

---

(١) شعراء أمويون:٩٧/١، السُّرجُوْجَة :الطبيعة أو الطريقة والخُلُقُ، ينظر:اللسان مادة(سرج) ورأى صاحب أشعار اللصوص حَذْف تاءها،ينظر:أشعار اللصوص:٢٥٤/١.

(٢) ينظر : الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، د.عبد القادر فيدوح :٦٨.

(٣) شعر هدبة بن خشرم، د. يحيى الجبوري : ٧٦ــــ ٧٧.

(٤)الشعرية ومقامرة اللغة، مقامرة الكشف والاستدلال :٢١.

تعلَّقتُها والنفسُ منِّي صحيحةٌ فما زال يَنمِي حُبُّ جُملٍ وتَضعُفُ

إلى اليومِ حتى سَلَّ جِسمِي وشفَّنِي وأنكرتُ من نفسي الذي كنتُ أعرفُ(١)

نتلمس الموقف النفسي المتوتر الذي يعيشه الشاعر جميل بثينة فهو تحت ضغط صراع نفسي جسماني روحي شديد، وكان انعكاسه في نصه بصورة مباشرة وواضحة كاشفًا عن أثر الحب في الروح والجسد، فحين اعتلق قلبه للحب أخذ يستشف عافيته وأفقده محياه فقد سلى الحبُّ لحمه وشحمه وأذاب عظمه، حتى إنه إذا نظر في المرآة وجد إنسانًا آخر غير الذي تعود أن يراه، بعدما كان ممتلئ الجسد قوي البنية .

وقد يأتي الفقر سببًا واضحًا في الكشف عن حالة الشاعر النفسية نتيجة لإحساسه وتعايشه معه، وصراعه لمقاومته، ويمكن أن نطلق عليه صراعًا نفسيًا مع الذات؛ لإحساسه بالضياع، وهذا ما نتلمسه عند أبي خراش الهذلي، فقد شكل الفقر في نصه بنية محورية تتمظهر من خلال فنية ومعمارية النص، فيبرز صراعه النفسي بصيغة نسقية متشابكة يمكن أن نطلق عليها (الفقر والحرمان)، يقول: من الطويل

ونعل كأشلاء السُّماني نبذتها خلاف ندى من آخر الليل أورهم(٢)

يعيش الشاعر صراعا نفسيا مريرًا؛ نتيجة الحالة الاقتصادية فيشبه نعليه بعد ما أصابه من تمزق وخرق بهيكل عظمي لطائر مأكول لحمه، جاعلا من ذلك التمزق أشبه ما بين الأضلاع والعظام أو ما بين الأضلاع والأجنحة، فيفضل أن ينتزع نعله المتهرئ ويسير حافي القدمين في حال أُرغم على السير في الوحل.

إن توظيف الشاعر للنعل ربما يكون رمزًا للحياة الفانية والزائلة، وتأكيدًا على أن الزمن يأكل كل شيء ويترك آثاره . نتلمس قدرة الشاعر الإبداعية التي مكنته من الكشف عن الصورة المرتسمة في مخيلته بعد إن اتضحت عنده الرؤية؛ لهذا كانت أكثر نضجًا وأعلى مستوى، فعبرت بحق عن ذات الشاعر المتقدة؛ لأن الشاعر ذو هوية متحركة مسافرة(٣) .

بينما تتكشف نفسية عبيد بن أيوب في صراعها مع الزمن الذي اختلف عنده، فتداخلت أوقاته واضطربت، حتى أصبح لا يميز بينهما فتتضح أمام المتلقي صيغة من صيغ الصراع النفسي التي لازمت الشاعر(الليل/ النهار)، يقول: من الطويل

---

(١) ديوان جميل بثينة : ١٣٤، شفني: اهزلني، ينمي: يكبر

(٢) ديوان الهذليين:١٣١/٢

(٣)ينظر:حركية الإبداع، خالدة سعيد، دار العودة بيروت /١٩٧٩ :١٢٢

فليسَ بجنّيٍّ فيُعرفَ نَجلُهُ ولا أَنَسِيٍّ تحتويه المجالِسُ
يظلُّ ولا يَبدُو لشيءٍ نهارَه ولكنّه ينْباعُ واللّيلُ دامِسُ(١)

يفصح النص بوضوح عن شكل من أشكال الصراع النفسي الذي يسيطر على نفسية الشاعر، وكأنما ينفي وجود النهار من كل تفاصيل حياته وساعات يومه، وليس من وجود للشاعر في النهار، فحياته قائمة على الليل بسواده الكالح الدامس، فبالليل يتجسد نشاطه حتى ليصور نفسه كأنه من الجن الذي لا وجود له في وضح النهار ولا يألف لمجاميع الناس.

وتبرز نفسية كعب بن زهير المتأزمة مع الزوجة، حينما رأت تقادم العمر به وعلا الشيب رأسه، وتبدل حاله متناسية إن الشيب لا بدّ أن يعتريها زاحفًا إليها ببطئ فيصارع الشاعر نفسه رادًا عليها بنبرة حادة قائلًا : قد أصابك ما أصابني من الكبر والشيب فلست بأمثل مني، يقول: من الطويل

ألاَ بَكَرتْ عِرْسِي تَلُومُ وتَعْذُلُ وغَيرُ الذي قالتْ أَعَفُّ وأَجْمَلُ
ولَمّا رَأتْ رَأسِيْ تَبدَّلَ لَونُه بَياضاً عَنِ اللَّونِ الذي كانَ أوّلُ
أرَنَّتْ مِنَ الشَّيْبِ العَجِيبِ الذي رَأتْ وهلْ أَنتِ منِّي وَيْبَ غَيْرِكِ أمثَلُ
كِلاَنَا عَلَتْهُ كِبْرَةٌ فَكأنَّما رَمتْهُ سِهَامٌ في المَفَارِقِ نُصَّلُ(٢)

جعل الشاعر من اللون الأبيض وتكراره وبمعانيه المختلفة، مثيرًا في نصه عبرّ الألفاظ التي تجسدها(البياض، الشّيب) وربما كان المقصد أن الشاعر أراد أن يجسد لون الشيب لمتلقيه ليشعره بخطورته، كما شعر هو بثقله وخطورته، ممكن نتلمس صراعه النفسي في محور ثنائية(الشيب/الشباب)، ولو حاولنا التدقيق في هذه اللوحة للمسنا تلويحا منه بثقل وخطورة الشيب على النفوس لما يثيره من قلق الحاضر ومجهولية القادم.

تحسس الشاعر من تقادم العمر لبروز الشيب، فقد أحالت ألفاظ الشاعر وتشكيل صورته المتلقي في الكشف عن الصراع والمعاناة النفسية التي استوطنت نفس الشاعر، وهو يعيش صراع الزوجة في ظل آثار الشيب المحدق به، فيمتطي الكناية كأسلوب بلاغي في قوله(اللون الذي كان أول) مكنيًا عن اللون الأسود الذي غطى رأسه سابقًا، ويكني عن الشيب الذي اكتسحه وغلب عليه بقوله(رأسي تبدل لونه بياضا) وهكذا برزت للمتلقي ثنائية (الماضي/ الحاضر).

---

(١) الحيوان : الجاحظ(ت٢٥٥هـ) :٦/ ٢٣٦

(٢) شرح ديوان كعب بن زهير ١٩٥٠ :٧٢ــ٧٣. أرنَّت: صوَّتت وأظهرت من ذلك جزعاً. نُصَّل: جمع ناصل، يقال سهم ناصل اذا خرج نصله، واذا كان ذا نصل، الأول هو المراد هنا.

ونتلمس توتر الأخطل فكشف عن صراع نفسي، بات كردة فعل لابتعاد المحبوبة مرتجيًا إياها أن لا تدعه أسير حبها، ويرجو الفوز بوصالها والعودة إلى ما مضى من زمن المودة والألفة، يقول من البسيط

يا ميَّ، هلّا يُجازي بعضُ ودِّكم أم لا يفادي أسيرٌ، عندكم غلقُ
إلا يكوننّ هذا عهدنا بكم إنَّ النّوى بعد شحط الدار، تتفقُ
إما تَريني حناني الدَّهرُ من كبرٍ وألبستني له ديباجةٌ خلقُ
....
وقد يُكلّفني قلبي، فأزجرُهُ رَبعَا، غداةَ غدوا أهواؤهُم فرقُ[١]

يبدو أن الصراع النفسي المضمر والرغبات المكبوتة واضحة، فيأتي توظيفه لاسم المحبوبة دلالة نسقية إشارية تأرجح الشاعر بين جدلية الرجل العاشق/المرأة المعشوقة المستبدلة الروحي بما هو مادي، فيشكو الشاعر من اضطراب داخلي مما اضطره اللجوء إلى أسلوب استدرار استعطاف المحبوبة لما حلّ به من ويلات الدهر فقد حنت عوده وأخنت عليه بالهرم وقد اعتلاه الشيب، وكساه ديباج الوشي القديم، فهو بين الاندفاع لزيارة ديارها مستذكرًا عهد المودة وبين زجر قلبه وعدم إطاعة رغبته واندفاعه متعاملًا معها بلغة العقل لا العاطفة.

ونتلمس الحالة النفسية والصراع الذاتي الذي راود الفرزدق، بل وسيطر عليه فجعله يتأرجح بين(الشباب/ الشيب) كردة فعل لتقادم العمر، وبروز علامات الكبر:من الكامل

إِن يُظعِنِ الشَيبُ الشَبابَ فَقَد تُرى لَهُ لِمَّةٌ لَم يُرمَ عَنها غُرابُها
لَئِن أَصبَحَت نَفسي تُجيبُ لَطالَ ما أَقَرَّت بِعَيني أَن يُغيمَ سَحابُها
وَأَصبَحتُ مِثلَ النَسرِ أَصبَحَ واقِعاً وَأَفناهُ مِن كَرِّ اللَيالي ذَهابُها[٢]

يرى الشاعر: أن المشيب هو المسؤول عن ظعن الشباب وارتحاله إلا أنه طالما كانت للشباب لمة سوداء يشبهها بالغراب، وإن كانت نفس الشاعر تتوق إلى الجمال وتستثار به فإنها طالما نالت مبتغاها وغايتها ولم تترك لسحابة الهم أن تغيم وتطيل بثقلها عليها، مع ذلك نستشعر صراعه المضمر نتيجة الحالة النفسية المضطربة التي انتابت الشاعر وتعايشها فانعكس تلقائيًا في نصه وهيأت له ليتصور حاله أشبه بالنسر الهرم العاجز الكسير الجناح الذي مرت عليه الأيام وأفنته.

---

(١) شعر الاخطل: ٤٠٠

(٢) ديوان الفرزدق : ١٤٧

ونجده في موضع آخر من ديوانه وهو يعاني صدمة مفارقة الحبيبة فلم تكن المرة الأولى التي تولي عنه وتنسى حبه وتتجنه، يعيش الشاعر المتناقضات فأخذ يبحث عن أستراتيجيات تنقذه من آثار الزمن الراهن ((**هذا معناه إن الأدب يحتوي على مخزون غني من الأدلة التي تدلّ على حياة الإنسان اللاواعية**)) [١]يقول: من الطويل

أَلَم يَكُ جَهلاً بَعدَ سَبعينَ حِجَّةً تَذَكُّرُ أُمِّ الفَضلِ وَالرَأسُ أَشيَبُ

وَقيلُكَ هَل مَعروفُها راجِعٌ لَنا وَلَيسَ لِشَيءٍ قَد تَفاوَتَ مَطلَبُ

عَلى حينَ وَلّى الدَهرُ إِلّا أَقَلَّهُ وَكادَت بَقايا آخِرِ العَيشِ تَذهَبُ

فَإِن تُؤذِنينا بِالفِراقِ فَلَستُمُ بِأَوَّلِ مَن يَنسى وَمَن يَتَجَنَّبُ

وَرُبَّ حَبيبٍ قَد تَناسَيتُ فَقدَهُ يَكادُ فُؤادي إِثرَهُ يَتَلَهَّبُ[٢]

ينعكس بوضوح ما يعانيه الشاعر من تقلبات وصراع نفسي على نصه إذ نجده نفسيًا ما زال يحن ويتمنى وصالها وقد يتظاهر بالنسيان ولكن قلبه يذوب حرقة لوصالها، مع علمه وتيقنه ليس لمن مرّ على فراقهم سبعين عامًا فيصور مرور الزمن بسرعة، وكيف أن العمر يمضي سريعًا، وأن البقاء في هذه الدنيا قليل، فليس من عودة مجدية وبعد أن اكتسح الشيب رأسه بوصفه محمولًا من محمولات الموت الذي بدأ يطيف به، وهذا ما يترتب عليه غياب لعالم الفعل واللذة. يعكس النص حالة من الحنين إلى الماضي، والشعور بالوحدة والعزلة.

ويصارع الراعي النميري همومه التي لا يدركها ويحس بلوعتها غير العاشق، فتمضي عليه ساعات الليل ساهدًا مفكرًا مناجيًا نفسه باثًا لوعته، يقول: من البسيط

عادَ الهمومُ وما يدري الخليُّ بها وَاسْتَوْرَدَتْنِي كَمَا يُسْتَوْرَدُ الشَّرَعُ

لبتٌ أنجو بها تنشا تكلّفني مَا لاَ يَهُمُّ بِهِ الْجَثَّامَةُ الْوَرَع

ولومِ عاذلةٍ باتتْ تؤرّقني حَرَّى الْمَلاَمَةِ مَا تُبْقِي وَمَا تَدَع

....

(١) مفاهيم نقدية ،رينيه ويلك، ت.د. جابر عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧ : ٤٧

(٢) ديوان الفرزدق: ٦٧.

أخْشَى عَلَيْكَ حِبَالَ الْمَوْتِ رَاصِدَة بكلِّ موردةٍ يرجى بها الطّمعُ
فَقُلْتُ: لَنْ يُعْجِلَ الْمِقْدَارُ عُدَّتَهُ ولَنْ يُبَاعِدَهُ الإشْفَاقُ والْهَلَعُ
فَهَلْ عَلِمْتِ مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ أحَدٍ عَلَى الْحَدِيثِ الَّذي بالْغَيْبِ يَطَّلِعُ[1]

يتمركز صراعه النفسي وألمه مع عاذلته التي تعطشت للوم، تلومه على كل شاردة وواردة، تخشى عليه الموت الذي تراه يرقبه في كل حين ومكان، الشاعر مؤمن بالأقدار يتوجه إليها بالتساؤل قائلًا: وهل من يعلم بما هو مكتوب ومقدر للإنسان في المستقبل المجهول؟ محاولًا افهمها بأن الأجل يأتي بموعده فلا يتقدم ولا يتأخر بمجرد لومك واشفاقك، الشاعر يعبّر عن واقعه بموضوعية وصدق مما يجعل ذاته تفيض بمكنوناته وانفعالاته الداخلية النفسية فالأحداث التي يعيشها والمناظر التي يراها تترك أثرها في نفسه فتتعمق لديه الرؤية الذاتية.

وتتأزم نفسية جحدر العكلي ليلًا حينما يخلو مع نفسه، ويعيش صراعًا حادًا فيصيبه الأرق مناجيًا ربه متأسفًا على السبيل الذي سلكه" الصعلكة" ينظر المختصون بدراسة الأدب من الجوانب النفسية على دوافع الأبداع والتحليل النفسي للأدب وهو تحليل للدوافع الكامنة في نفس المبدع وترجمة ما بقي مستترًا في "لاوعيه" ف **((تبدو حياة الإنسان جدلًا بين باطنه وظاهره، وبين لا شعوره وشعوره وبين الذات والمجتمع))** [٢]، نسمعه يقول: من البسيط

إني أرقتُ لبرقٍ ضافني سارِ كأنّ في العين منه مَسَّ عُوّارِ
أو حرَّ فُلْفلة كانت بها قَذِيَت لما بَرى قشرها عن حرِّها الباري
إن الهمومَ إذا عادتكَ واردةَ إن لم تَفرِّج لها واردًا بإصدارِ
....
فصرتُ في السجنِ والحراسُ تحرسُنِي بعد التلُّصصِ في بَرٍ وأمصارِ
وسيرِ حرفٍ تجوبُ اللّيلَ جافلةً عَومَ السفينةِ في ذي اللُّجةِ الجاري
يا نفسُ لا تجزعي إني إلى أمدٍ وكُلُّ نفسٍ إلى يومٍ ومقدار
لله أنتِ يعصمك فاعتصمي وإن كذبت فحسبي الله من جار

(١) شعر الراعي النميري: ١٢٨.
(٢) سياسة الشعر، ادنويس، دار الأدب، بيروت، ط١ــ١٩٨٥ :١٢

ادعيه سرًّا وناديه علانيةً والله يعلمُ إعلاني وإسراري[١]

الشاعر يصارع ذاته ويقاومها مقاومة مستمرة حتى يأول به الأمر إلى أن تتفجر عبراته وتنساب دموعه مترقرقة مصورًا حرقته التي ذُرت من بين جفنيه ذريرة من بهار حار، وهو يعيش حياة السجين المقيد بعد حياة الحرية وضربه الآفاق، يحتدم الصراع النفسي الباطني مع رغباته وواقعه، فنجده يتجه صوب نفسه لائمًا وزاجرًا إياها؛ لأنها أخذته إلى طريق الضلالة ويدعوها إلى الثقة بالله متوجهًا صوب ربه بدعاء التائب النادم سرًا وعلنًا.

وتأتي ثنائية(الغنى/ الفقر) مسببًا أساسيًا في تأزم نفسيٍّ وصراع باطني لأبي النشناش النهشلي، الذي رأى أن أسباب السعادة مقرونة بوفرة الثروة من إبل راتعة وسيولة بالأموال، ويد معطاء غير مقبوضة، ووجه رحب يتسابق إليه الغريب قبل الصديق كل هذا مؤهلات للسعادة، وبخلافها فرحيل الإنسان عن الحياة أولى من تحمله العسر والانكسار والبؤس، فالفاقة ذل وعبودية وتسول، والثراء عز وقوة ورفعة، يقول :من الطويل

إذا المرءُ لم يسرح سوامًا ولم يُرح سوامًا: ولم يَبسُط له الوجهَ صاحبُه

فَللَموتُ خيرٌ للفتى من حياتِه فقيرًا ومن مولى تّدِبُّ عقاربُه[٢]

الشاعر غير قادر على تجاوز دواخل نفسه، فيشكو من حياته البائسة القاسية حتى ليجد الموت أفضل، وهو الحل للتخلص من معاناته، فضلًا عن فقدانه لمن يحبه ويسنده فالشعور المسيطر عليه الوحدة والغربة.

(١) أشعار اللصوص ، المجلد الاول: ٢/ ١٨٥ــــ ١٨٦.

(٢) أشعار اللصوص، المجلد الاول : ١/٤٩ــــ ٥٠.

الخاتمة

لكل عمل نهاية ولكل نهاية سبيل يقودان إلى هدف اسمى نسعى إليه، وبفضل الله وتوفيقه وصلنا إلى نهاية المطاف موجزين أهم ما توصلنا إليه من نتائج، وهي :

كان وما زال الشعر العربي منهلا صافيًا عذبًا للمعرفة ومنارًا للعبقري، يحمل في طياته أسرار النبوغ التي اتسم بها الشاعر.

إن الأدب العربي عامة والشعر خاصة كان ولا يزال مسرحًا لصراعات الحياة التي تغلي وتفور ولا ترى سوى التغيير والتبديل سبيلًا لها، والشاعر لم يكن بمعزل عن معترك الحياة الحضارية؛ لكونه عامل تغيير وتحويل بالوعي الثقافي وهي في المحصلة نتاج تجربته الذهنية وبالتالي ساعدت الشاعر لأداء دوره الفاعل في ترجمة قضايا الأمة والتي دفعته إلى العيش بحالة من حالات التناقض بين طموحاته في الحياة وبين هواجسه القلقة .

ألقى البحث الضوء على نصوص شعرية جسد فيها الشعراء صور شعرية كشفت عن صراعات نفسية وأفصحت عن البواعث الكامنة وراء عملية الإبداع الشعري معبرين عن مشاعرهم وانفعالاتهم التي تحمل بين طياتها وثناياها إيماءات ورموز تتماشى مع طبيعة الموقف والحالة النفسية للمبدع.

عنى البحث باستقصاء الحالة النفسية ومعايشة التجربة الشعورية بمكوناتها الإبداعية لرصد صراعات الشاعر الداخلية وما تراكم من عذاباته النفسية، التي بدا تأثيرها ملموسًا على نتاج الشاعر، ولا يتم هذا إلا بقراءة النص الشعري وفهمه وتفسيره بطريقة من طرق القراءة الحديثة

تتكثف صراعات الشاعر النفسية حتى بدت كنافذة زجاجية يطلّ الشاعر من خلفها. ولعلّ هذه النافذة هي وسيلة الشاعر للتخفيف من الشعور بين عالمين متباينين، الأول خارج النص والآخر داخله كأنه يراقب ما يدور في غربتيه الداخلية والخارجية. ويتأمل بعمق الذات الحائرة في داخلها، متأرجحًا، بين الأنا والآخر، الحضور والغياب، الحب والفراق، البقاء والرحيل. هذه «الثيمات» المتصارعة والمتنافرة في ما بينها تنصهر لتُقلص المسافة بين "أنا والآخر، وبين الذات المتأملة".

نستشعر أن نصوص الشاعر ما هي إلا رسائل شعرية معبرة تتكشف عن طريقها تجربة الشاعر الخاصة، هذا ما جعل النصوص تتسم بالواقعية؛ ذلك أن الشاعر يسقط مكنونات عالمه الداخلي بين طيات نصوصه معبرًا عن ذاتيته ومعاناته

النفسية، كاشفاً بها عن توتر نفسه وحدة انفعالاتها من جانب وصدق التجربة الشعورية من جانب آخر.

يمكن أن تعد صراعات الشاعر النفسية منافذ إبداع للشاعر؛ لأنها الشفرة التي أفصحت عن ذاتية الشاعر وكشفت عن بوتقة أفكاره والخارجة بصياغاته من الاستعمال السطحي والشكلي المألوف صانعة نوعًا من الاستجابة الارتدادية من لدن المتلقي بفضل تلك الثنائيات الضدية التي مثلت جوهر الاضطراب النفسي .

المصادر والمراجع

١- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، د. عبد القادر فيدوح، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ط ١/ ١٩٩٢م.

٢ – أشعار اللصوص، جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي، دار الحضارة الجديدة، بيروت، ط٢/ ١٩٨٤، المجلد الاول.

٣ – تاريخ الأدب العربي، بلاشير، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٣م.

٤ – تجليات النص الشعري "اللغة الدلالة الصورة "، د. محمد صابر عبيد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٤م.

٥ حركية الإبداع، خالدة سعيد، دار العودة بيروت /١٩٧٩ .

٦ – الحيوان: ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥ه) شرح وتحقيق:عبد السلام محمد هارون،ط٢/١٩٦٥، مطبعة مصطفى الحلبي واولاده بمصر.

٧ – الدلالة الحركية للصورة في المعلقات العشر، د. عواد صالح الحياوي، دار دجلة، عمان الطبعة الأولى، ٢٠١٦م .

٨ – ديوان الأسود بن يعفر، صنعه د . نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث – ١٥ – بغداد، ١٩٧٠ م .

٩ – ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية،(د.ت)

١٠ – ديوان جميل بثينة، جمع وتحقيق: د. حسين نصار، مكتبة دار مصر للطباعة(د.ت).

١١ – ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: د.عمر عبد الرسول، دار المعارف القاهرة،١٩٨٥ .

١٢ – ديوان عبيد بن الابرص، شرح أشرف احمد عررة، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط١،١٩٩٤.

١٣ – ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت يعقوب بن إسحاق(ت٢٤٤ه) حققه وشرف على طبعه :عبد المعين الملوحي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم،١٩٦٦م.

١٤ – ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له الاستاذ علي فاخور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٧

١٥ – ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني (ت ٦٣٥ ه) برواية ابن السكّيت وغيره وشرح ثعلب، عني بتحقيقه: د. خليل إبراهيم العطية، قدم له العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٢م.

١٦– ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية(د. ت).

١٧ – ديوان الهذليين، للسكري، الدار القومية للطباعة والنشر، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، الفاهرة ط٤/ ١٩٦٥م .

١٨ سياسة الشعر،ادنيس، دار الأدب،بيروت، ط١١٩٨٥

١٩ – شَرح ديوان عنترة، للخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢ م .

٢٠ – شرح ديوان كعب بن زهير، صنعه: الامام أبي سعيد الحسن بن عبد الله السكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١/١٩٥٠.

٢١ – شعر الاخطل، صنعة السكري روايته عن أبي جعفر حبيب، تح: د. فحر الدين قباوة، دار الفكر.

٢٢ – شعر الراعي النميري، دراسة وتحقيق : د. نوري حمودي القيسي و هلال ناجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٠

٢٣ – شعر الشنفرى الازدي، لابي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥ه) تحقيق وتذييل: الدكتور علي ناصر غالب، كلية التربية جامعة بابل، راجعه: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، كلية الاداب جامعة الملك سعود، اشرف على طبعه حمد الجاسر.

٢٤ – شعر المرقش الأصغر . المرقش الأكبر (أخباره وشعره)، صنعة: نوري حمودي القيسي، مجلة العرب، السعودية، ج ١٠، السنة الرابعة، ١٩٧٠ م .

٢٥ – شعر هدبة بن خشرم، د. يحيى الجبوري، دار القلم للتوزيع والنشر، الكويت ط١٩٨٦/٢.

شعراء أمويون، القسم الأول، دراسة وتحقيق: د.نوري حمودي القيسي، ساعدت جامعة بغداد على نشره ١٩٧٦م.

٢٦ – الشعرية ومقامرة اللغة(مقامرة الكشف/والاستدلال) دراسات تحليلية،عصام شرتح، دار الينبوع للطباعة والنشر(د.ت).

٢٧ – الشيب والهرم في الشعر العربي قبل الاسلام،هدى هادي عباس، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٤م .

٢٨ – علم النفس والأدب، د.سامي الدروبي، منشورات جماعة علم النفس التكاملي، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م

٢٩ – القارئ والنص(العلامة والدلالة) سيزا قاسم، المجلس الاعلى للثقافة، ط١/ ٢٠٠٢.

٣٠ – قراءة ثانية لشعرنا القديم، د. مصطفى ناصيف، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط ١٩٨١/٢م.

٣١ – لغة الخطاب في قصيدة الحداثة، كمال أبو ديب، مجلة الأقلام، بغداد ع/٥، السنة ٢٤، ١٩٨٩م ٣٢– مفاهيم نقدية،رينيه ويلك، ت.د. جابر عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧م.

٣٣ – موسوعة شعراء العصر الجاهلي، الأستاذ محمد العريس، دار اليوسف، بيروت(د.ت).

٣٤ – النقد الأدبي، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٩٦٣/٣

٣٥ – نقد الشعر في المنظور النفسي، ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية الغامة، العراق بغداد، ط١ /١٩٨٩.

References

1. The Psychological Trend in the Critique of Arabic Poetry, Dr. Abdul Qadir Fidooh, Arab Writers Union, Damascus, 1st Edition, 1992.
2. Poems of Thieves, compiled and investigated by Abdul Maeen Al-Malouhi, Dar Al-Hadara Al-Jadida, Beirut, 2nd Edition, 1984, Volume One.
3. History of Arabic Literature, Blachère, translated by Dr. Ibrahim Al-Kailani, Publications of the Ministry of Culture, Damascus, 1973.

4. Manifestations of Poetic Text "Language - Meaning - Image", Dr. Mohammed Saber Obaid, Modern Books World, Jordan, 1st Edition, 2014.
5. Dynamics of Creativity, Khalida Said, Dar Al-Awda, Beirut, 1979.
6. The Animal: Abu Othman Omar Ibn Bahr Al-Jahiz (d. 255 AH), Commentary and Verification: Abdul Salam Mohammed Haroun, 2nd Edition, 1965, Mustafa Al-Halabi and Sons Press, Egypt.
7. The Dynamic Meaning of the Image in the Ten Mu'allaqat, Dr. Awad Saleh Al-Hiyawi, Dar Dijlah, Amman, 1st Edition, 2016.
8. The Diwan of Al-Aswad Ibn Ya'far, compiled by Dr. Nouri Hammoudi Qaisi, Ministry of Culture and Media, Heritage Series – 15 – Baghdad, 1970.
9. The Great Diwan of Al-A'sha, Maimun Ibn Qais, commentary and notes by Mohammed Hussein, Al-Adab Library, Al-Jamamiz, Model Press, (n.d.).
10. The Diwan of Jamail and Buthaina, collected and verified by Dr. Hussein Nassar, Dar Misr Library (n.d.).
11. The Diwan of Duraid Ibn Al-Samma, verification by Dr. Omar Abdul Rasul, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1985.
12. The Diwan of Ubaid Ibn Al-Abras, commentary by Ashraf Ahmed Arrah, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1st Edition, 1994.
13. The Diwan of Urwah Ibn Al-Ward, commentary by Ibn Al-Sukait Ya'qub Ibn Ishaq (d. 244 AH), verified and overseen by Abdul Maeen Al-Malouhi, Publications of the Directorate of Reviving Ancient Heritage, 1966.
14. The Diwan of Al-Farazdaq, explained, edited, and introduced by Professor Ali Fakhour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st Edition, 1987.
15. The Diwan of Al-Muzarid Ibn Durar Al-Ghatafani (d. 635 AH), transmitted by Ibn Al-Sukait and others, explained by Tha'lab, verified by Dr. Khalil Ibrahim Al-Attiyah, with an introduction by the scholar Sheikh Mohammed Redha Al-Shubibi, As'ad Press, Baghdad, 1962.
16. The Diwan of Al-Muhalhal Ibn Rabi'ah, commentary and introduction by Talal Harb, International House (n.d.).
17. The Diwan of the Huthaliyyin, by Al-Sukari, National Printing and Publishing House, National Library and Archives, Heritage Research Center, Cairo, 4th Edition, 1965.
18. The Politics of Poetry, Adonis, Dar Al-Adab, Beirut, 1st Edition, 1985.
19. Commentary on the Diwan of Antarah, by Al-Khatib Al-Tabrizi, introduced and annotated by Majid Tarad, 1st Edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 1992.

20. Commentary on the Diwan of Ka'b Ibn Zuhair, compiled by Imam Abu Said Al-Hassan Ibn Abdullah Al-Sukari, Egyptian Books House, Cairo, 1st Edition, 1950.
21. Poetry of Al-Akhital, by Al-Sukari, narrated by Abu Ja'far Habib, edited by Dr. Fakhri Al-Qabawi, Dar Al-Fikr.
22. Poetry of Al-Ra’i Al-Namiri, study and verification by Dr. Nouri Hammoudi Qaisi and Hilal Naji, Iraqi Scientific Assembly Press, 1980.
23. Poetry of Al-Shanfarah Al-Azdiy, by Abu Faid Mu'arij Ibn Amr Al-Sudusi (d. 195 AH), verification and annotation by Dr. Ali Nasser Ghalib, College of Education - University of Babylon, reviewed by Dr. Abdul Aziz Ibn Nasser Al-Mani, College of Arts - King Saud University.
24. Poetry of Al-Murqash Al-Awsa, The Larger Murqash (His News and Poetry), by Nouri Hammoudi Qaisi, Al-Arab Magazine, Saudi Arabia, Volume 10, Year 4, 1970.
25. Poetry of Hadbah Ibn Khashram, Dr. Yahya Al-Jubouri, Dar Al-Qalam for Distribution and Publishing, Kuwait, 2nd Edition, 1986.
    1. Umayyad Poets, Part One, study and verification by Dr. Nouri Hammoudi Qaisi, published with the assistance of the University of Baghdad, 1976.
26. Poetics and the Gambling of Language (Gambling of Revelation/Inference) Analytical Studies, Issam Shurtah, Dar Al-Yanbou for Printing and Publishing (n.d.).
27. Gray Hair and Old Age in Pre-Islamic Arabic Poetry, Huda Hadi Abbas, Master's Thesis, University of Baghdad, College of Arts, 1994.
28. Psychology and Literature, Dr. Sami Al-Droubi, Publications of the Integrative Psychology Group, Dar Al-Ma'arif, Egypt, 1971.
29. The Reader and the Text (Sign and Signification), Siza Qassem, Supreme Council of Culture, 1st Edition, 2002.
30. A Second Reading of Our Ancient Poetry, Dr. Mustafa Nasif, Dar Al-Andalus for Printing and Publishing, 2nd Edition, 1981.
31. The Language of Discourse in Modernity Poetry, Kamal Abu Deeb, Al-Aqlam Magazine, Baghdad, Issue 5, Year 24, 1989.
32. Critical Concepts, René Wellek, translated by Dr. Jaber Asfour, Knowledge World Series, Kuwait, 1987.
33. Encyclopedia of Pre-Islamic Poets, Professor Mohammed Al-Iris, Dar Al-Yusuf, Beirut (n.d.).
34. Literary Criticism, Ahmed Amin, The Egyptian Renaissance Library, Cairo, 3rd Edition, 1963.
35. Critique of Poetry from a Psychological Perspective, Raikan Ibrahim, Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyah Al-Aamah, Iraq - Baghdad, 1st Edition, 1989.